

تفسير البحر المحيط

@ 395 @ الاعتزال والجمهور على تفسير قوله : بآياتنا ، إنها تسع الآيات التي أجراها
□ على يد موسى عليه السلام . وقيل : يجوز أن يراد بها آيات التوراة ، والتقدير : كما
أرسلناك يا محمد بالقرآن بلسان عربي وهو آياتنا ، كذلك أرسلنا موسى بالتوراة بلسان
قومه ، وأن أخرج يحتمل أن تكون تفسيرية ، وأن تكون مصدرية ، ويضعف زعم من زعم أنها
زائدة . وفي قوله : قومك خصوص لرسالته إلى قومهم ، بخلاف لتخرج الناس ، والظاهر أن قومهم
هم بنو إسرائيل . وقيل : القبط . فإن كانوا القبط فالظلمات هنا الكفر ، والنور الإيمان
، وإن كانوا بني إسرائيل وقلنا : إنهم كلهم كانوا مؤمنين ، فالظلمات ذل العبودية ،
والنور العزة بالدين وظهور أمر □ . وإن كانوا أشياعاً متفرقين في الدين ، قوم مع
القبط في عبادة فرعون ، وقوم على غير شيء ، فالظلمات الكفر والنور الإيمان . قيل : وكان
موسى مبعوثاً إلى القبط وبني إسرائيل . وقيل : إلى القبط بالاعتراف بوحدانية □ ، وأن
لا يشرك به ، والإيمان بموسى ، وأنه نبي من عند □ ، وإلى بني إسرائيل بالتكليف وبفروع
شريعته إذ كانوا مؤمنين . ويحتمل وذكرهم أن يكون أمراً مستأنفاً ، وأن يكون معطوفاً
على أن أخرج ، فيكون في خبر وان . وأيام □ قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : نعم □
عليهم ، ورواه أبي مرفوعاً . ومنه قول الشاعر : % (وأيام لنا غرّ طوال % .
عصينا الملك فيها إن ندينا .

. %)

وعن ابن عباس أيضاً ، ومقاتل ، وابن زيد : وقائعه ونقماته في الأمم الماضية ، ويقال :
فلان عالم بأيام العرب أي وقائعه وحروبها وملاحمها : كيوم ذي قار ، ويوم الجار ، ويوم
فضة وغيرها . وروي نحوه عن مالك قال : بلاؤه . وقال الشاعر :
وأيامنا مشهورة في عدونا .

أي وقائعه . وعن ابن عباس أيضاً : نعماءه وبلاؤه ، واختاره الطبري ، فنعماءه :
بتظليله عليهم الغمام ، وإنزال المن والسلوى ، وفلق البحر . وبلاؤه : باستعباد رعون
لهم ، وتذبيح أبنائهم ، وإهلاك القرون قبلهم . وفي حديث أبي في قصة موسى والخضر عليهما
السلام بينما موسى عليه السلام في قومه يذكرهم بأيام □ ، وأيام □ بلاؤه ونعماءه ،
واختار الطبري هذا القول الآخر . ولفظة الأيام تعم المعنيين ، لأن التذكير يقع بالوجهين
جميعاً . وفي هذه اللفظة تعظيم الكوائن المذكر بها . وغبر عنها بالطرف الذي وقعت فيه .
وكثيراً ما يقع الإسناد إلى الطرف ، وفي الحقيقة الإسناد لغيرها كقوله : بل مكر الليل

والنهار ، ومن ذلك قولهم : يوم عبوس ، ويوم عصيب ، ويوم بسام . والحقيقة وصف ما وقع فيه من شدّة أو سرور . والإشارة بقوله : إن يف ذلك ، إلى التذكير بأيام الله . وصبار ، شكور ، صفتا مبالغة ، وهما مشعرتان بأنّ أيام الله المراد بهما بلاؤه ونعماؤه أي : صبار على بلائه ، شكور لنعمائه . فإذا سمع بما أنزل الله من البلاء على الأمم ، أو بما أفاض عليهم من النعم ، تنبه على ما يجب عليه من الصبر إذا أصابه بلاء ، من والشكر إذا أصابته نعماء ، وخص الصبار والشكر لأنهما هما اللذان ينتفعان بالتذكير والتنبيه ويتعظان به . وقيل : أراد لكل مؤمن ناظر لنفسه ، لأنّ الصبر والشكر من سجايا أهل الإيمان .